**هدف المحاضرة:** التعرف على المدرسة الفيثاغورية، وموقفها من مسألة أصل الطبيعة، ورؤيتها للدين وللأخلاق.

**المحاضرة الرابعة: المدرسة الفيثاغورية**

الفيثاغوريون هم جماعة من الفلاسفة الذين تزعمهم فيثاغورس ( 572 ــــ 497 ق. م ) وكانوا أقرب إلى جماعة دينية تجمع أفرادها حوله، وإن كان معظم أسماء أفراد هذه الجماعة مجهولين نظرا للسرية الشديدة التي أحاطوا أنفسهم بها، إلا أن فيثاغورس يبقى هو مؤسس هذه الجماعة التي استوطنت كروتونا إحدى مدن جنوب ايطاليا القديمة.

**أولا: استخدام كلمة الفلسفة**

إذا كان مؤرخو الفلسفة الغربية يكادون يجمعون على أن أول من استعمل كلمة "الفلسفة" هم حكماء اليونان ، فإنهم اختلفوا في أول من استخدمها من أولئك الحكماء ، فذهب بعضهم إلى أن فيثاغورس هو أول من استخدم لفظ "الفلسفة" بمعنى( البحث عن طبيعة الأشياء) . وقد روى عنه ( شيشرون) ( ت 43 م) أنه قال : ( من الناس من يستعبدهم التماس المجد ، ومنهم من يستلذ له طلب المال ، ومنهم قلة تستخف بكل شيء وتقبل على "البحث في طبيعة الأشياء" وأولئك هم الذين يسمون أنفسهم محبي الحكمة أي الفلاسفة ) ويروى عن فيثاغورس أيضا أنه استكثر أن يطلق على العلماء البارزين في عصره اسم ( الحكماء ) وفضل أن يطلق عليهم وعلى نفسه أيضا لفظ أدنى إلى التواضع ( إذ سماهم محبي الحكمة أو أصدقائها ، وقال عن نفسه : لست حكيما ... وما أنا إلا فيلسوف )

**ثانيا: فلسفتهم الطبيعية**

بدأ فيثاغورس تأملاته حول أصل الطبيعة والكائنات، وذلك من خلال اهتمامه بالرياضيات والموسيقى وشغفه بهما، حيث لاحظ أن اختلاف الأصوات الصادرة من دق المطرقة على السندان وهما من نفس المادة، واختلاف الأصوات الصادرة عن الآلات الوترية رغم أن أوتارها من نفس المادة ترجع في الحالتين إلى العدد أي إلى شدة الضربات أو خفتها في الحالة الأولى، وإلى اختلاف طول الأوتار أو قصرها في الحالة الثانية، وبهذا قد اكتشف فيثاغورس أن قوة الأصوات تابعة لطول الموجات الصوتية، فأوضح أن

الأنغام تقوم خصائصها بنسب عددية ويترجم عنها بالأرقام. وكما كانت الأعداد حسب فيثاغورس هي المفسرة للاختلافات بين النغمات الموسيقية، فهي المفسر للاختلافات الكائنة بين الأشياء، إذ يمكن تفسير الاختلاف بين الأشياء تفسيرا عدديا، واكتشف أن الاختلاف بينهما إنما يكمن في اختلاف أشكالها أو صورها الخارجية، كما اكتشف وجود صلة وثيقة بين العدد والشكل الهندسي حيث كانت الأعداد في ذلك الوقت عبارة عن أشكال هندسية، فالعدد واحد هو النقطة والاثنان خط، والثلاثة مثلث، والأربعة مربع.

ولما كانت الأعداد وبصور متعددة تمثل أشكالا هندسية وكذلك الأشياء والكائنات الفيزيقية تختلف في أشكالها أو صورها الخارجية، فبالإمكان إذن اكتشاف الصلة بين أشكال الطبيعة والمنجزات الهندسية، إذ تختلف الأشكال الهندسية من حيث الكيف برغم اتصافها كلها على السواء بأنها أشكال قائمة في مكان فليس لها خصائص مادية، وكل ما تتميز به هو خصائص صورية. وقد كشف أرسطو عن جوهر التفسير الفيثاغوري للعالم الطبيعي حينما قال: " أنهم رأوا أن مبادئ الأعداد ( الرياضيات ) هي مبادئ كل الأشياء وأن هذا العالم أشبه بعالم الأعداد منه بالماء أو التراب أو النار" ورأى أرسطو أن الفيثاغوريين يرون أن الأشياء نفسها أعداد رياضية، وقد وحدوا بين عالم الموجودات الحسية وعالم الأعداد، فالأعداد لم تكن لديهم مجرد أرقام حسابية، بل كانت أشكالا وصور هندسية.

**ثالثا: مذهبهم الديني**

لم تكن الفيثاغورية مجرد فلسفة لتفسير الطبيعة، بل كانت تبشر بأخوية دينية جديدة، حيث كان يهدف فيثاغورس من فلسفته تطهير نفوس أتباعه وحملهم على الإيمان بالماوراء. ولقد جاءت التعاليم الدينية الفيثاغورية بمثابة حركة جديدة تأخذ من جميع التيارات الموجودة آنذاك بطرف، ففيها طقوس من بابل ومصر وآسيا وتراقيا فضلا عن العقائد الدينية لليونانيين أنفسهم والتي كان أهمها الديانة الأورفية ذات الأصل الشرقي التي أخذ عنها الفيثاغوريين تنظيم أتباع الدين في جماعات لا تقوم على علاقة الدم بل على وحدة الاعتقاد، كما أخذوا عنها أيضا بعض الطقوس الخاصة بالطهارة التي تؤدي إلى خلاص النفس مما كان يسمونه ( عجلة الميلاد ) أي عودة النفس إلى جسد إنسان أو حيوان آخر وهو ما يعرف بعقيدة التناسخ، وقد استبعد الفيثاغوريين الطقوس الأسطورية في العقيدة الأورفية وآمنوا بأن الطريق إلى طهارة النفس إنما يكون بالعلم والتأمل الفلسفي فضلا عن التمسك بالأخلاق والزهد في مطالب الحياة المادية للجسد.

**رابعا: مذهبهم الأخلاقي**

إن العقيدة الدينية الفيثاغورية قد اقترنت بتعاليم رفيعة المستوى، حيث أن الفضيلة بشقيها النظري والعملي هي الطريق الأمثل لطهارة النفس وتوجهها نحو الإله، ومبادئ الأخلاق الفيثاغورية التي التزم بها المعلم كما التزم بها أتباعه، تتمثل في كون أن المرء يكتسب تحسنا في سلوكه من ثلاث طرق أولها: تأمل الإله ليدنو من إخماد كل الشرور في نفسه ويتبع مسلك التقليد لكل ما هو إلهي، ومن شأن هذا أن يطوع المرء نفسه لتتوافق مع الإله. وثانيها: الاعتقاد في حياة الأفعال الخيرة لأن الفضيلة تشعر الإنسان بالقداسة. وثالثها: أن يكون قد بلغ تمام الصلاح في الموت حينما يصبح بتهذيب الجسد قادرا على أن تشتاق روحه في حياتها الدنيا إلى الإله، عندما تخرج من هذا الجسد نهائيا في الموت. ولهذا تقوم الأخلاق الفيثاغورية على أساسيين: الأول هو الإيمان بالوجود الإلهي الأسمى، والثاني الاعتقاد بأن حياة الفضيلة هي التي تتسق وتتوافق مع الإرادة الإلهية، ولذلك قد آمنوا بالأصل الإلهي للنفس الإنسانية، وجعلهم هذا الإيمان يشعرون بأنهم غرباء عن هذا العالم المادي، وبأن الجسم إنما هو مقبرة للنفس، ومن ثم كان على النفس أن تشتاق دائما إلى أصلها وأن تتطهر لتحاول العودة إلى هذا الأصل.